المحاضرة الأولى

ابستمولوجيا

الأبستمولوجيا ، فإننا نتساءل: أهي نظرية معرفة ؟ أم أبستمولوجيا ؟ نفضل أن تكون الخطوة الأولى ، النظر والتدقيق فيما تحمل كلمة أبستمولوجيا من ناحية الإشتقاق اللغوي . الحقيقة إن الأبستمولوجيا كلمة يونانية الأصل والإصطلاح والتداول الفلسفي ، ومن ثم وجدت طريقها إلى اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية خلال عملية الترجمة والتفاعل الثقافي بين اليونان وشعوب الأرض المختلفة.

التسمية

يُستخدم مصطلح إبيستيمولوجي (Epistemology) في اللغة الإنجليزيّة للدلالة على علم المعرفة، والتي تتألف من كلمتين يونانيتين وهما: كلمة (episteme) والتي تعني المعرفة، وكلمة (logos) والتي تعني دراسة، وعند جمعهما يصبح معناها "دراسة نقديّة للمعرفة."

أما في اللغة العربيّة فقد اختلف العلماء على استخدام كلمة "علم" كبديل عن المعرفة، حيث يَذكر الباقلاني الأشعري أنّ حد المعرفة هو معرفة العلوم وصنفها إلى علمين هما: العلم القديم، وهو علم الله سبحانه وتعالى، والعلم المحدث: هو العلم المكتسب من خلال التعلّم

إن الأبستمولوجيا هي كلمة مركبة من مقطعين أو إسمين:

الأول – أبستمي ويعني المعرفة

الثاني – لوكوس باليونانية (وبالإنكليزية : لوجي) وتعني العلم

فالأبستمولوجيا هي : علم المعرفة (1) . وهي تقليدياً فرع من مضمار الفلسفة ، إنشغل بدراسة طبيعة المعرفة ، وإطار (حدود) المعرفة . وهي تقليدياً تدور حول الأسئلة الأتية: ماهي المعرفة ؟ كيف نكتسب المعرفة ؟ ماذا يعرف الناس ؟ وكيف نعرف " إننا نعرف"

حقيقة إن معظم الجدل والنقاش الذي جرى و يجري في هذا الحقل ، يهدف إلى التركيز على تحليل طبيعة المعرفة

مثل : الصدق (أي صدق المعرفة) ، والإعتقاد (أي الإعتقاد بالمعرفة) ، والتبرير (أي تبرير المعرفة)

كما إنها تدرس الوسائل التي تمكننا من إنتاج المعرفة ، والتدقيق في درجات الشك التي تثار حول المزاعم المعرفية المختلفة.

والخلاصة إذا أردنا تعريف الإبستمولوجيا تعريفا دقيقا نقول أنها تشمل كل الأبحاث المعرفية: فلسفة العلوم، مناهج العلوم...منظور إليها من زاوية علمية معاصرة، أي من خلال المرحلة الراهنة لتطور 1الفكر العلمي والفلسفي، كما أنها علم المعرفة التي تختص ببحث العلاقة بين الذات والموضوع.

أنواع الإبستمولوجيا:

المعرفة البديهيّة : تعتمد على مجموعة عوامل تشمل الحدس، والإيمان، والمعتقدات، حيث تلعب المشاعر الإنسانية دوراً كبيراً في بناء المعرفة البديهيّة مُقارنةً بالاعتماد على الحقائق .

المعرفة الاستبداديّة: تعتمد على المعلومات التي يتمّ تحصيلها من الكتب والأوراق العلميّة والبحثيّة، وكذلك من الخبراء والسلطات العليّا.

المعرفة المنطقيّة: تُمثّل بناء معرفة جديدة من خلال تطبيق التفكير المنطقيّ.

المعرفة التجريبيّة:تعتمد على الحقائق الموضوعيّة التي تمّ إنشاؤها وبناؤها والتي يُمكن إثبات صحتها.

نظريّة المعرفة عند العرب

اهتم علماء العرب والمسلمين بنظريّة المعرفة، ومن أبرزهم ابن سينا والأشعري وعلماء المعتزلة والغزالي وابن رشد، حيث تم تقسيم قضايا نظريّة المعرفة إلى 6 قضايا، وهي:

1. **قضايا أوليّة: هي القضايا المعرفيّة التي نصدّقها ونسلم بها، ولا نكتسبها وليست بحاجة لأي برهان.**

2. قضايا تجريبيّة: هي قضايا إدراك الحواس، أي المعرفة التي نُدركها بالحواس.
3. قضايا الاستبطان: هي عبارة عن معرفة وملاحظة ذاتيّة للأحاسيس والأفكار العقليّة مثل: الألم والعطش والجوع.
4. قضايا مقبولة: هي القضايا التي يكون عليها إجماع.
5. قضايا أخلاقيّة: وهي المعرفة المتفق عليها من خلال القيم والعادات.
6. براهين واستدلالات: هي المعرفة والقضايا التي يتم استنتاجها باستخدام الملكة الفكريّة.

نظريّة المعرفة عند الغرب تعتبر نظريّة المعرفة أحد مباحث الفلسفة التي تهتم بدراسة طبيعة وشروط تكوّن المعرفة، ويعتقد أن الفيلسوف الأسكتلندي جيمس فيرير هو من صاغ هذا التعريف. كما يعرّف لالاند نظريّة المعرفة بأنها فلسفة العلوم، حيث تختلف عن الدراسة الوصفيّة لمناهج العلوم، ومن أبرز علماء الغرب في مجال المعرفة: بول فيرابند، وباشلار، وكواري، كارل بوبر. كما تنقسم نظريّة المعرفة لدى علماء الغرب إلى:

1. فلسفة وضعيّة: هي الفلسفة التي تعتمد على علم الأرقام ، حيث أن الأرقام لا تكذب.
2. فلسفة تفسيريّة: هي فلسفة تعتمد على الشرح.
3. فلسفة واقعيّة: هي الفلسفة تقع ما بين الفلسفة التفسيريّة والفلسفة الوضعيّة.

نظرية المعرفة:

مفهوم النظريّة لغة واصطلاحاً

تُعرفُ النظريّة لغةً: بأنّها مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثيّة نَظَرَ، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما،

أمّا اصطلاحاً: فتُعرف بقواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً، وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهمُ في بناءِ فكر جديد، ومن التعريفات الاصطلاحيّة الأخرى للنظريّة:

هي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانيّة ومنطقيّة، من أجل استنتاجِ مجموعة من الخُلاصات والنتائج التي تساهمُ في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظريّة.

أنواع النظريّات

النظريّة الفلسفيّة وهي أول وأقدم النظريّات التي ارتبطتْ بِمَفهومِ النظريّة؛ إذ حرصَ الفلاسفة في العصر اليونانيّ على ربطِ كافة الموضوعات، والدراسات، والأفكار التي صاغوها بمجموعة من النظريات التي تُقدمُ الدعم لآرائهم الفلسفيّة، وتُحولها إلى حقائق واقعيّة، وهكذا أصبحت أغلب الدراسات في مجال الفلسفة تعتمدُ على مجموعة من النظريّات، مثل: نظريّة نشأة الأرض التي اهتمّ العديد من الفلاسفة بدراستها.

النظريات العلميّة وهي التي تستخدمُ في أغلبِ مجالات العلوم، وتعتبرُ نظريّة علم الطبيعة مِن أول النظريّات العلمية التي اهتمتْ بدراسةِ مُكوّنات الطبيعة بالاعتمادِ على مجموعة مِن المُلاحظات، والدراسات العلميّة المُحتوية على أبحاث واكتشافات أدّت إلى ظهورِ مجموعة مِن النظريّات العلميّة في العديد من أنواع العلوم، مثل: النظريات الطبيّة التي تهتمُ بالبحث في الأمراضِ وطرق علاجها.

النظريات السياسيّة وهي التي اعتمدتْ على الفكر السياسيّ الذي ظهرَ منذُ عصر النظريّات الفلسفيّة، وتطوّرت في القرن التاسع عشر الميلاديّ، واستمر تطوّرها حتى نهاية القرن العشرين للميلاد، وتعتمدُ النظريّات السياسيّة على الآراء والأفكار التي أطلقها عدد من الفلاسفة والسياسيّين، وأصبحتْ مع الوقت حقائق أدّت إلى تأسيسِ مجموعة من المدارس الفكريّة السياسيّة، والتي أثرت في كافةِ دول العالم تقريباً، ومن الأمثلة على النظريات السياسيّة: الأفكار الاشتراكيّة، والأفكار الرأسماليّة بصفتهما من أشهر المجالاتِ الفكريّة التي احتوتْ على نظريّات

سياسيّة.

المعرفة

المعرفة هي قدرة الفرد على استيعاب وإدراك ما يدور حوله من حقائق، والوعي في الحصول على المعلومات واكتسابها من خلال القيام بالتجارب أو بالملاحظة والتأمل وكما يمكن التوصل للمعرفة والوعي بواسطة مراقبة ما قام به الآخرين والاطلاع عليه والتمعن في ما توصلوا إليه من استنتاجات، ويرتبط مقدار المعرفة بسرعة البديهة والسعي الدؤوب في البحث عن الأشياء المجهولة واكتشافها وكشف أسرارها، وتنمية القدرات الفردية بالاعتماد على الاستنتاجات.

مكن تعريف المعرفة بأنها ما يكتسبه الفرد من خبرات ومهارات، والتي يقوم أساساً على التجربة والتعلّم بالدرجة الأولى، المتمثلة بالفهم بشقيّه النظري والعملي لأي فكرة أو موضوع، وكما يمكن تعريفه بأنه ثمرة التوسع في المقابلات والاتصال في عدة اتجاهات مختلفة.

أنواع المعرفة

صنّف الفلاسفة المعرفة إلى ثلاثة أنواع رئيسية، وهي:

المعرفة الشخصية:" المعرفة الشخصية يقوم هذا النوع من أنواع المعرفة على الخبرة الذاتية واكتسابها، والنابعة من الاطلاع، وحتى تتمكن من معرفة شيء ما يتطلب منك الأمر التجربة، إذ تُعتبر التجربة والاكتساب من أساسيّات المعرفة الشخصيّة، بالإضافة إلى التعرّف على فرضيات بأسلوب خاص بها.

المعرفة الإجرائيّة: هي القدرة على أداء أمر أو عمل ما من خلال فهم نظرياته الكامنة في صميم العمل، أي أنه يمكن للفرد أن يكون ملمّاً بنظريات وجميع أفكار نشاط ما لكن دون القدرة على تطبيقه على أرض الواقع، وحتى تكون المعرفة فعلية يجب أن تتم التجربة والتطبيق للأمور.

المعرفة الافتراضيّة: يعتمد هذا النوع من أنواع المعارف على التعمّق بالحقائق والوقائع ومعرفتها عن كثب، ويعدّ هذا النوع في غاية الأهمية والإثارة بالنسبة للفلاسفة، وتعتمد على الافتراضات، ويمكن وصفها بأنها المعرفة الحقيقية للوقائع.

طرق الحصول على المعرفة:

يوجد العديد من الطرق للحصول على المعرفة، ومنها:

الطريقة التجريبية: بحسب رأي الفلاسفة التجريبيين فإنّ المعرفة يتم الحصول عليها من الملاحظة التجريبية من خلال الحواس البشرية. الطريقة العقلانية: يزعم الفلاسفة العقلانيين أنه يتم توظيف المنطق للوصول إلى استنتاجات بخصوص الادعاءات المختلفة، ويميلون إلى التفكير بالافتراضات، واستخلاص الحقائق المختلفة من الحجج والخلافات، وبناء نظم المنطق المتوافقة مع الطبيعة.

التاريخ الكبير: يمكن اكتساب المعرفة من خلال التاريخ الذي يمكن الاعتماد عليه للحصول على معلومات حول حياة البشر منذ بداية الخليقة.

المذاهب الفلسفية في المعرفة تباينت المذاهب الفلسفية في تحديد أدوات المعرفة ومصادرها، وجاء بعض الفلاسفة بالمذاهب التالية وفقاً لاعتقادات كل منهم:

المذهب العقلي: يُجمع فلاسفة المذهب العقلي على أن الانسان يعتمد على عقله في الاستدلال ومعرفة ما يحيط به، وأنه هو القوة الفطرية التي تكسبه المعرفة التلقائية دون التعرض للتجارب.

المذهب التجريبي: يتباين السبيل الذي يسلكه مؤيدو المذهب التجريبي مع العقلي، إذ يعتبرون التجربة أكبر برهان وأسلوب لاكتساب المعرفة، وأهملوا المعارف والمبادئ العقلية وأنكروها تماماً، ومن بينهم جون لوك.

المذهب الحسي: جاء الفرنسي هنري بركسون بهذا المذهب ليؤكد بأن العقل مجرد وهم وليس سبيلاً للمعرفة، وقدّم للعالم براهين حول أهمية الحدس في المعرفة والتي تقوم على التجربة الوجدانية.

المذهب البراكماتي: يركز فلاسفة هذا المذهب على مجموع من المبادئ التي تشير إلى أن الفكر وسلامته هو ما يعمد إليه الانسان لاستخدامه للوصول إلى المعرفة وبالتالي الحصول على نتائج ناجحة، ويعد تشارلز ساندرز بيرس المستخدم الأول لمصطلح البراجماتية ويعود له الفضل في تأسيس هذا المذهب.

مصادر المعرفة

تتشكَّل قناعات الإنسان وِفقاً لمجموعة من المُؤثِّرات المُتشابِكة؛ فهناك رغبات، واحتياجات الإنسان التي تُعتبَر كمُؤثِّرات في مجموعة من العوامل النفسيّة، إلّا أنّها –وإن صحّت– لا ترتقي لأن تصبحَ مصادر للمعرفة؛ فمصادر المعرفة تحتاج أن تستند إلى موثوقيّة مُعتبَرة؛ حتى يتمكَّن الإنسان من اعتبار القناعات التي يعتقدها على أنّها معرفة، فهي بحاجة ماسّة لمصادر مُمتازة، كالإدراك الحسّي، والتقييم الذاتيّ، والذاكرة الثاقبة، والعقل الناضج، وفيما يأتي توضيح لمصادر المعرفة:

الإدراك الحسّي

تُستخدَم الحواسّ الخمس؛ لإدراك الموجودات الحسّية، حيث يتمّ تأكيد هذه الموجودات كلّما اشترك في إدراكها عدد أكبر من الحواسّ، إذ إنّه في المواقف الملموسة، تُعَدُّ رؤية فنجان القهوة على الطاولة إدراكاً بصرياً، ويمكن أن تُؤكِّد هذا الإدراك حاسّة شمّ رائحة القهوة، بالإضافة إلى لَمس الفنجان، وتذوُّقه، وبذلك تُدرَك الموجودات الحسّية، ويُوثَّق وجودها، أمّا ما يرتبط بالإدراك الذهنيّ، أو المعنويّ، فهو مُرتبط ببعض المشاعر، والقناعات، وهنا يتوثَّق هذا الإدراك بضمان سلامة العمليّات الذهنيّة، ورجاحة العقل، والمنطق، والإنصاف، والذاكرة.

التقييم الذاتيّ هو مراقبة الشخص لذاته، وتقييم ما يصدر عنه من أحكام، وقرارات، وقناعات تُترجَم إلى أفعال، وأقوال، ومجموعة من ردّات الفعل، ولكونه مصدراً يتعلَّق بذات الشخص، فهو أوضح من الإدراك كمصدر للمعرفة؛ لأنّ الحُكم فيه يتَّحد بين الواقع، والظاهر منه، دون وجود مجال للشكّ، أو التأويل في حقيقة ما يُرى، أو يُلمس؛ لأنّه في حقيقته حُكم يتعلَّق بما يشعرُ، أو يُفكِّر فيه الشخص، بينه، وبين ذاته، فليس لأحد أن يُشكِّك في ذلك، إلّا إذا سانده بوجود خلل إدراكيّ، أو عقليّ، كالهذيان، أو التوهُّم.

الذاكرة المُثبَتة إنّ استحضار المعرفة المُكتسَبة في وقت مضى، وإعادة تذكُّرها، من حقائق معرفيّة سابقة، أو أحداث قد مضت، يُعَدُّ نشاطاً ذهنيّاً يمكن تمييز حقيقته، وإمكانيّة اعتباره مصدراً معرفيّاً، وهنا موضع الجَدل بين الفلاسفة، حيث يتمثَّل بالاعتقاد بأنّ الذاكرة هي مصدر المعرفة الموثوق عن الماضي في الحقيقة.

التبرير البديهيّ وهو أن يكون للقناعة، والمعلومة ما يُبرِّر وجودها، ويُؤكِّد ثبوتها؛ حيث إنّ هناك ما يمكن تبريره باستخدام العقل، فيكون التبرير حينها بديهيّاً؛ للارتباط الذي لا ينفكُّ حينها بين السبب، والنتيجة، خاصّة في ما يتعلَّق بالحقائق المفاهيميّة، في الرياضيّات، والمنطق، والهندسة، وهناك تبريرات تُساق على إثر تجارب عمليّة محدودة النطاق، بحيث لا ترتقي إلى موازاة اعتماد التبرير البديهيّ للحقائق المفاهيميّة.